

اللغة العربية في ظل القرآن

الأستاذ محمد عبد الرحمن السالبي
القاهرة

ولهذا السبب يضمه علماء اللغة في مقدمة المصادر التي يتم بها توثيق العربية ..

ومن الحقائق التي لا تقبل نقاشا .. إن القرآن .. هو المصح ما نطق بالعربية .. وكانت نصافته ، على نهج معجز ، لكل نصيحة العرب في مصر تلقت ملكة البيان فيه على أكمل صورها .. لدى قوم لم يعرفوا من صنائع الدنيا سوى صنعة البيان .. ولم يبرعوا من نون الحياة برأفتهم في قول الشعر ، والنشر ..

وقد حظ القرآن الكريم ممدا من الاستعمالات .. التي لم تعد اليوم جلدية في الأسلوب العربي .. مثل :

« إن هذان لساحران » ..
« قاتل رب أرجعون » ..
« والارض نرشناها » ..
« متند صفت قلوبكما » ..

وكل هذه الاستعمالات وأمثالها .. كان يستشهد بها في كتب اللغة والنحو ، على صحة ما يقللها من الكلام العربي ..

قال المستشرق الالماني بروكلمان :

ورد علينا من حضرة الاستاذ الكبير الشیخ احمد عبد الرحيم السالبی بحث قيم في الموضوع اعلاه نقیب منه ما يلى :

نزل القرآن الكريم بلغة العربية تجعلها أكثر رسوحا واقوى استقرارا ، وادق تصويرا ، لما يتعنت الحس ، وتصيرها مما يجول في النفس ..

ويجتذب هذا أمدها بطلاقة .. جعلتها أوسع آفاقا ، وابعد مدى ، واقتصر على النهوض بتطوراتها المضاربة عبر التطور الدائم الذي تمثله الإنسانية ..

واستطاعت اللغة العربية في ظل القرآن الكريم .. أن تتسع لطبع بلبعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصل إلى ارتي اختلاجات النفس ..

فالقرآن الكريم .. فضلا عن كونه ، قد احدث تغيرا جذريا في التفكير العربي .. شمل جميع مناحي الحياة ..

منذ كان سنجلا لكل ظواهر اللغة العربية .. سجلام يطرأ عليه اثنى تسعين ، او تبديل .. رقم موامل المصور والزمن .. وما ثُرِف كتابا .. ضمن الخطود للغة في الدنيا .. كما منع القرآن الخلود للغة العربية ..

والنفس... وهي فنون لم تمهلها العربية من قبل .
وهذه آية واحدة من سورة الانعام تمثل ناحية من
النواحي الكثيرة للعلوم الكونية والتس عبرت عنها
العربية في القرآن الكريم . (الآية 99) .

ولقد اجمع الباحثون على أن القرآن الكريم ..
كان ولا يزال من أهم الحصون التي حمت اللغة
العربية من الضياع ولا شك ان القرآن قد اوجد
علوماً كثيرة .. منها ما يتعلق باللغة نفسها .. كعلم
النحو ، والصرف ، والبيان ، والمعنى ، والبديع ،
ومنها ما يتعلق بالدين .. كعلم التفسير .. وعلم الفقه
وعلم الاموال .. وعلم الحديث .. الى غير ذلك .. من
العلوم الإسلامية الكثيرة .. والتي نتجت عن القرآن
الكريم ..

وفي ظل رسالة القرآن الكريم جيء بشروة عظيمة من المردات الجديدة .. التي استعيرت من اللغات الأخرى ، والتي اشتقت من أصل اللغة .. لتساير الحركة الإسلامية الكبيرة .. والتي نحتت ، ومقلت ، وربما ابتكرت ، لتعبير عن المجال الحيوي الجديد .. الذي دفع إليه القرآن ..

ولا ينوتنا أن نذكره، إن الشعر ، والآمثال ،
والقصص قد أدت دوراً بارزاً في حفظ اللغة وتنقيتها...
لا، إن جميع الدراسات اللغوية ثبتت في تأوه .. إن
سبب نشأة العربية ونموها ، وانساعها ، وشموليها ،
وتطورها ، وتطورها ، وقبولها للتعمير .. هو القرآن
الكريم ..

« ينضل القرآن بلفت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرنه اي لغة اخرى من لغات الدنيا ، والملئون جيبياً مؤمنون بان العربية هي وحدتها : النسان الذي اهل لهم ان يستعملوه في صلاتهم . . . وبهذا — اكتسبت العربية ، منذ زمان طوبل ، مكتبة راسية ، ناقت جميع اللغات الاخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية » .

وقال الدكتور جورج مارتون :

« وَهُبَ اللَّهُ لِلْفَةُ الْعَرَبِيَّةُ .. مَرْوَنَةُ جَمْلَتِهَا
قَدْرَةٌ مَلِيْنَ أَنْ تَدْعُونَ الْوَحْيَ أَهْسَنَ تَدْوِينَ .. بِجَمِيعِ
يَتَّلَقُ مَمَاتِيَّهُ وَلِمَتَانَهُ .. وَانْ تَعْبِرُ هُنَّهُ بِعِيَارَاتٍ عَلَيْهَا
طَلَوَةٌ وَنَيْبَا مَتَانَةٌ. وَهَكُنَا يَسْاعِدُ الْقُرْآنَ عَلَى رَنْعِ الْلَّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَتَانِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي التَّعْبِيرِ مِنَ الْقَامِدِ ..
إِلَّا أَنْ هَذَا كَلِهِ لَمْ يَسْعِنْ مِنْ نَشُوهِ لِهَجَاتٍ مَتَمَسَّدَةٍ
لِلتَّخَاطِبِ الْعَادِيِّ وَخَصْوَصَهُ حِينَما اصْبَعُ أَبْنَاءِ الْأَمْمِ
الْمَفْطُولَةِ يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ .. وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ..
جَلَّ مِنَ الْلَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسِيلَةً دُولَيَّةً لِلتَّعْبِيرِ مِنَ
أَسْمَى مَتَنَفِيَّاتِ الْعِيَّا .. »

ولقد كان القرآن الكريم في ذاكه ثورة لغوية ..
نعتت اللغة من مرحلة اللهجات المختلفة .. إلى مرحلة
المجتمع التحضر المرتبط بلغة واحدة ومن مرحلة
التعبير الشخصي .. إلى التعبير الموضوعي ..